

**تعلق القبورية بشفاعة
الأولياء من الأموات
(عرض ونقد)**

الاستاذ/ غالب بن غازي الحربي



(AUST)

تعلق القبورية بشفاعة الأولياء من الأموات (عرض ونقد)

المقدمة :

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولوكره المشركون ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أرجو بها النجاة يوم لا ينفع مال ولا بنون ، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان ما تعاقبت الأيام والقرون .

أما بعد : فإنه لما كانت شبهة التعلق بشفاعة الأولياء من الأموات من أكبر شبهات القبورية التي تسببت في نقض التوحيد الذي أرسل الله من أجله الرسل ، وأنزل لبيانه الكتب ، وافترق الناس فيه إلى أشقياء وسعداء آثرت دراستها عرضاً ونقداً لعل الله أن يهدي بهذه الدراسة ضالاً ، ويعلم جاهلاً ، ويرد حائراً ، ويذكر غافلاً ، والله الموفق وحده .

الدراسات السابقة :

لما لموضوع تعلق القبورية بشفاعة الأولياء من أهمية فقد كثرت المؤلفات فيه ، منها ما أفرد المسألة بالبحث ، ومنها ما ضم المسألة إلى بقية شبهات القبورية ، أو إلى مسائل عقدية أخرى ، وسأذكر هاهنا أهم الدراسات في هذه المسألة :

- ١) الواسطة بين الحق والخلق لشيخ الإسلام ابن تيمية.
- ٢) زيارة القبور والاستنجاد بالقبور لشيخ الإسلام ابن تيمية.
- ٣) الرد على البكري لشيخ الإسلام ابن تيمية.
- ٤) كتاب الصارم المنكي في الرد على السبكي للحافظ ابن عبد الهادي .
- ٥) غاية الأمان في الرد على النبهاني للعلامة محمود شكري الألوسي .
- ٦) تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد للعلامة محمد بن إسماعيل الصنعاني .
- ٧) كشف الشبهات للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب .

- ٨) السيف المسلول على عابد الرسول للشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم .
- ٩) كيف نفهم التوحيد للشيخ محمد بن أحمد باشميل .
- ١٠) صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان لبشير السهسواني .
- ١١) جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية للدكتور شمس الدين الأفغاني .
- ١٢) هذه مفاهيمنا للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ .
- ١٣) الشرك ووسائله عند أئمة الحنفية للدكتور محمد بن عبد الرحمن آلخيمس .
- ١٤) الشرك ووسائله عند علماء المالكية للدكتور محمد بن عبد الرحمن آلخيمس .
- ١٥) الشرك ووسائله عند علماء الشافعية للدكتور محمد بن عبد الرحمن آلخيمس .
- ١٦) الشرك ووسائله عند علماء الحنابلة للدكتور محمد بن عبد الرحمن آلخيمس .
- ١٧) المجموع المفيد في نقض القبورية ونصرة التوحيد للدكتور محمد بن عبد الرحمن الخيمس .
- ١٨) القبورية نشأتها . آثارها . موقف العلماء منها " اليمن نموذجاً " للباحث أحمد بن حسن المعلم .
- ١٩) موقف الإسلام من القبورية للباحث خالد بن جريد العنزي .
- ٢٠) بدع القبور . أنواعها وأحكامها للباحث صالح العصيمي .
- ٢١) الوساطة بين الله وخلقه عند أهل السنة ومخالفاتهم للدكتور مرابط الشنقيطي .
- ٢٢) دمعة على التوحيد (حقيقة القبورية وأثرها في واقع الأمة) من إصدارات المنتدى الإسلامي .

خطة البحث :

قسمت البحث إلى ثلاثة مباحث وستة مطالب :

المبحث الأول : المراد بالقبورية ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : القبورية في اللغة .

المطلب الثاني : القبورية في الاصطلاح .

المبحث الثاني : أنواع الشفاعة ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الشفاعة في اللغة .

المطلب الثاني : أنواع الشفاعة .

المبحث الثالث : اختلاف الناس في الشفاعة ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أقسام الناس في الشفاعة .

المطلب الثاني : تحرير محل النزاع بين القبورية وأهل السنة في الشفاعة .

ثم الخاتمة التي رقمت فيها أهم النتائج ثم الفهرس .

المبحث الأول : المراد بالقبورية**المطلب الأول : القبورية في اللغة :**

المتأمل في مبنى الكلمة يعلم أنها منسوبة إلى القبر .
 وكلمة (قبر) : القاف والباء والراء أصل صحيح يدل على غموض في شيء
 والقبر مصدر والقبر موضع القبر وقبرته أقبره قبراً ومقبراً .
 والمقبرة موضع القبور والقبر واحد .والإقبار أن تهى له قبراً وتنزله منزلة ذاك .
 والقبورية جمع قبوري ، وهو مصدر صناعي صيغ بإضافة اسم مجموع " قبور "
 إلى ياء النسبة المردوفة بالتاء . وقد سوغ نسبته للجمع . مع أن له واحداً
 مستعملاً من لفظه . أنه صار جارياً مجرى العلم لاختصاصه بطائفة بأعيانهم ،
 كأنصاري نسبة إلى الأنصار ، وأصولي نسبة إلى علم الأصول ، لأنه غلب على
 علم خاص حتى صار كالعلم عليه .
 وبذلك يكون إطلاق هذا اللفظ على مقدسي القبور والغلاة فيها سائغاً لأنه
 قد صار كالعلم عليه^(١) .

المطلب الثاني : القبورية في الاصطلاح

" القبورية " وصف للغلاة في تعظيم القبور وتقديسها والاعتقاد فيها ما لا يجوز
 اعتقاده إلا في الله تعالى ، وقصدها بأنواع العبادات والقربات ، ودعاء أربابها من
 دون الله تعالى^(٢) .

قال العلامة محمد بن إسماعيل الصنعاني : (... والندربالمال على الميت ونحوه
 والنحر على القبر والتوسل به وطلب الحاجات منه هو بعينه الذي كانت تفعله
 الجاهلية، وإنما كانوا يفعلونه لما يسمونه وثناً وصنماً، وفعله القبوريون لما
 يسمونه ولياً وقبراً ومشهداً، والأسماء لا أثر لها ولا تغير المعاني، ضرورة لغوية

(١) ينظر كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) ، دار ومكتبة الهلال ، (٥ / ١٥٧) ، معجم مقاييس اللغة
 لابن فارس (ت ٣٩٥هـ) ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ، الطبعة : الثانية ، (٤٧/٥) ، القبورية نشأتها . آثارها . موقف
 العلماء منها " اليمن نموذجاً " ، أحمد بن حسن المعلم ، دار ابن الجوزي ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٧هـ ، ص (٢٩) .
 (٢) القبورية نشأتها . آثارها . موقف العلماء منها " اليمن نموذجاً " ، أحمد بن حسن المعلم ، ص (٢٩) .

وعقلية وشرعية، فإن من شرب الخمر وسماها ماء، ما شرب إلا خمرا وعقابه عقاب شارب الخمر، ولعله يزيد عقابه للتدليس والكذب في التسمية (٣).

وقال العلامة محمد بن علي الشوكاني حيث قال: (... وقد توارَدَ إلينا من الأخبار ما لا يشكُّ معه أنَّ كثيراً من هؤلاء القبوريين أو أكثرهم إذا توجَّهتْ عليه يمينٌ من جهةٍ خصمه حلفَ باللهِ فاجراً فإذا قيل له بعد ذلك احلفْ بشيخك ومعتقدك الوليِّ الفلانيِّ تلعنم وتلكأ وأبى واعترف بالحقِّ وهذا من أبين الأدلة الدالة على أنَّ شركهم قد بلغ فوق شرك من قال إنَّه تعالى ثانياً اثنتين أو ثالثاً ثلاثة فيا علماء الدين ويا ملوك المسلمين أي رزء للإسلام أشدُّ من الكفر وأي بلاء لهذا الدين أضرُّ عليه من عبادة غير الله وأيُّ مُصيبةٍ يُصابُ بها المسلمون تُعدُّل هذه المُصيبةَ وأيُّ منكرٍ يجب إنكاره إن لم يكن هذا الشرك البين واجباً ...) (٤).

فالقبورية إذن هم الغلاة في تعظيم القبور وتقديسها والاعتقاد فيها ما لا يجوز اعتقاده إلا في الله تعالى، وقصدها بأنواع العبادات والقربات، ودعاء أربابها من دون الله تعالى.

المبحث الثاني: أنواع الشفاعة

المطلب الأول: الشفاعة في اللغة

(شفع) الشين والفاء والعين أصل صحيح يدل على مقارنة الشئيين. من ذلك الشفع خلاف الوتر. تقول كان فردا فشفعته. والشفعة في الدار من هذا. قال ابن دريد: سميت شفعة لأنه يشفع بها ماله. والشاة الشافع التي معها ولدها. وشفع فلان لفلان إذا جاء ثانية ملتصقا بمطلبه ومعينا له.

(٣) تطهير الاعتقاد من أدراج الإلحاد، محمد بن إسماعيل الأمير الكحلاني الصنعاني ص (١٨).

(٤) نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الجيل - بيروت -

ومن الباب ناقة شفوع وهي التي تجمع بين محلبين في حلبة واحدة^(٥). تشفع له شفع. يقال تشفع لفلان إلى فلان في الأمر، وبه إليه توسل به إليه^(٦). فيكون من معاني الشفاعة لغة: الوسيلة.

والشفاعة عرفاً: سؤال الخير للغير^(٧).

المطلب الثاني: أنواع الشفاعة

أنواع الشفاعة على سبيل الاستقصاء ثمانية أنواع، منها ما هو خاص بالنبي ﷺ ومنها ما هو مشترك بينه وبين غيره:

- الشفاعة الأولى: الشفاعة العظمى (وهي المقام المحمود) وهي أن يشفع النبي ﷺ أن يقضي الله سبحانه بين عباده بعد طول الموقف عليهم، وبعد مراجعتهم الأنبياء للقيام بها فيقوم بها نبينا ﷺ بعد إذن ربه^(٨).
- الشفاعة الثانية: شفاعته ﷺ في دخول أهل الجنة الجنة بعد الفراغ من الحساب.

- الشفاعة الثالثة: شفاعته ﷺ في عمه أبي طالب أن يخفف عنه العذاب وهذه خاصة به. لأن الله أخبر أن الكافرين لا تنفعهم شفاعة الشافعين، ونبينا أخبر أن شفاعته لأهل التوحيد خاصة. فشفاعته لعمه أبي طالب خاصة به وخاصة لأبي طالب^(٩). وهذه الأنواع الثلاثة من الشفاعة خاصة بنبينا محمد ﷺ.

- الشفاعة الرابعة: شفاعته ﷺ فيمن استحق النار من عصاة الموحدين أن لا يدخلها.

(٥) ينظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس، (٢٠١/٣).

(٦) ينظر المعجم الوسيط، (١ / ٤٨٧)

(٧) ينظر شرح العقيدة الواسطية للدكتور صالح الفوزان، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة السادسة، ١٤١٣هـ. ١٩٩٣م، ص (١٥٧)

(٨) صحيح البخاري، حديث رقم (٧٠٠٢)

(٩) صحيح البخاري، حديث رقم (٦١٩٦)

• الشفاعاة الخامسة : شفاعته ﷺ فيمن دخل النار من عصاة الموحدين أن يخرج منها .

• الشفاعاة السادسة : شفاعته ﷺ في رفع درجات بعض أهل الجنة .

• الشفاعاة السابعة : شفاعته ﷺ فيمن استوت حسناتهم وسيئاتهم أن يدخلوا الجنة وهم أهل الأعراف على قول^(١٠) .

• الشفاعاة الثامنة : شفاعته ﷺ في دخول بعض المؤمنين الجنة بلا حساب ولا عذاب^(١١) .

وهذه الأنواع الخمسة الباقية يشاركه فيها غيره من الأنبياء والملائكة والصدّيقين والشهداء^(١٢) .

وأهل السنة والجماعة يؤمنون بهذه الشفاعات كلها لثبوت أدلتها ، وأنها لا تثبت إلا بشرطين :

الأول : إذن الله للشافع أن يشفع .

الثاني : رضا الله عن المشفوع له^(١٣) .

المبحث الثالث اختلاف الناس في الشفاعاة :

المطلب الأول : أقسام الناس في الشفاعاة :

انقسم الناس في أمر الشفاعاة إلى ثلاثة أصناف :

• الصنف الأول : غلوا في إثباتها وهم النصارى والمشركون وغلاة الصوفية والقبوريون حيث جعلوا شفاعاة من يعظمونه عند الله كالشفاعاة المعروفة في الدنيا عند الملوك، فطلبوها من دون الله كما ذكر الله ذلك عن المشركين .

(١٠) جامع البيان للطبري ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٥ ، (١٩٠/٨)

(١١) صحيح البخاري ، حديث رقم (٥٣٧٨) .

(١٢) ينظر العقيدة الواسطية لابن تيمية مع شرحها للدكتور صالح الفوزان ، ص (١٥٦ . ١٥٨) .

(١٣) ينظر جامع البيان ، الطبري ، (٣٩٥ / ٥) ، (٣٠٠٠٢٩٩ / ٢١) ، (٥٢٩ / ٢٢) ، وسيأتي تفصيل أدلة ذلك في النقد إن شاء الله تعالى ، ص (١٦) .

- الصنف الثاني : وهم المعتزلة والخوارج غلوا في نفي الشفاعاة فأنكروا شفاعاة النبي ﷺ وشفاعاة غيره في أهل الكبائر .
- الصنف الثالث : وهم أهل السنة والجماعة أثبتوا الشفاعاة على وفق ما جاءت به النصوص القرآنية والأحاديث النبوية فأثبتوا الشفاعاة بشروطها^(١٤) .
- وبعد بيان أقسام الناس في الشفاعاة هلم ننظر إلى محل النزاع بين القبورية
- وأهل السنة في الشفاعاة ، وهو ما سيتناوله المطلب التالي بالبحث .

المطلب الثاني : تحرير محل النزاع بين القبورية وأهل السنة في الشفاعاة :

إن محل النزاع بين القبورية وأهل السنة في الشفاعاة هو سؤال الشفاعاة من الأولياء الأموات .

فالقبورية يقولون إنهم قصدوا بعض الموتى من أصحاب القبور بحجة أنهم أولياء الله ولهم منزلة رفيعة عند الله فتوجهوا إليهم بطلب الشفاعاة لهم عند الله مع علمهم بأن هؤلاء الموتى لا يخلقون ولا يرزقون ولا يدبرون إنما الخالق الرازق المدبر الذي بيده ملكوت كل شيء هو الله رب العالمين .

ويضربون لذلك مثلاً بأن الناس إذا كانت لهم حوائج عند ملوك الدنيا فإنهم يصلون إلى قضائها بشفاعاة الوجهاء^(١٥) .

والجواب عن هذه الشبهة من وجوه :

(١٤) ينظر شرح العقيدة الواسطية للدكتور صالح الفوزان ، ص (١٥٧ ، ١٥٩)
 (١٥) ينظر جواهر المعاني، علي حراز، (٥٧/١ - ٦٠)، ورماح حزب الرحيم على نحور حزب الرحيم، عمر بن سعيد الفتوي الطوري الكدوي، ملحق بهامش كتاب جواهر المعاني، (٢١٠/١)، وأحزاب وأوراد القطب الرباني العارف الصمداني سيدنا ومولانا أحمد التيجاني، صححه وضبطه وشرحه محمد السيد التيجاني، ص (٢ - ٨)، (١٤٤ - ١٤٥)، ومنية المريد في آداب وأوراد الطريقة التيجانية، ابن بابا الشنقيطي التيجاني، ص (١٠)، (٢٧) وبلوغ الأماني في مناقب سيدي أحمد التيجاني، ص (١٤ - ١٥)، والهداية الربانية في فقه الطريقة التيجانية محمد السيد التيجاني، ص (٣)، حقيقة القطب النبوي السيد أحمد البدوي، أ.د. جودة محمد أبو اليزيد المهدي، ص (٩١)، (٣٥٩)، (٣٦٦ - ٣٦٨)، (٣٧٢ - ٣٧٣) (٣٩٦)، السيد أحمد البدوي شيخ وطريقة، د. سعيد عبدالفتاح عاشور، ص (١٩٩ - ٢٠٣)، ودروع الحماية بأحزاب الوقاية، د. محمد علوي المالكي ص (١٠٧)، والعارف بالله سيدي أحمد البدوي، سعد القاضي، ص (٥)، آراء في حياة السيد البدوي الدنيوية وحياته البرزخية أحمد محمد حجاب، ص (١٤١)، (١٦٩ - ١٧٠).

● الوجه الأول : أن التوسع والتساهل في باب الولاية أوقع كثيراً من عامة الناس في الغلو والتعلق بالموصوفين بالولاية في حياتهم وبعد مماتهم ، مما أدى إلى سؤالهم الشفاعة بعد مماتهم ، فيجب التوقف عن وصف شخص معين بالولاية ولم يرد نص شرعي فيه بذلك ، لأن أولياء الله هم أهل الإيمان والتقوى: كما قال تعالى : ﴿الْأَيْنَ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ، الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس/ ٦٢. ٦٣] . والله هو العليم الخبير بمن حقق الإيمان والتقوى.

● الوجه الثاني : أن العبد منهي عن التعلق بغير الله كائناً من كان ، ومأمور بتحقيق تقوى الله والإيمان كما قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء/ ١٣٦] . وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران/ ١٠٢] فالعبد الصادق يتقرب إلى الله بالفرائض والنوافل حتى يحبه الله فإذا أحبه أعطاه سؤاله وقضى حوائجه والحمد لله .

فلماذا يعرض العبد عن أمر ربه ومولاه ، ويرتكب ما عنه نهاه ؟!

ولماذا يترك صراط الله المستقيم ، ويتبع سبل الشيطان الرجيم ؟!

● الوجه الثالث : أنه يحرم تمثيل الله مالك الملك بملوك الدنيا في الحاجة إلى وجهاء يوصلون له مطالب الخلق ، فإن الأمر كله لله وهو عليم خبير بصير بعباده لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، فليس على العباد إلا الإيمان به والاستجابة له فإذا فعلوا ذلك أجاب دعائهم ، أما ملوك الدنيا فهم بشر ضعفاء ليس لهم من الملك إلا ما آتاهم الله ، ويخفى عليهم كثير من أحوال الرعية فيحتاجون إلى من يوصل إليهم حاجات الرعية ويطلعهم

على ما خفي عليهم منها ونحو ذلك فيقضي حاجاتهم إما رغبة وإما رهبة وإما حياء وإما مودة وإما غير ذلك^(١٦). قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة/١٨٦].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر/٦٠].

فقياس مالك الملك على ملوك الدنيا في اتخاذ الشفعاء قياس باطل ، بل هو أفسد قياس في العالم لأن ملوك الدنيا ليسوا مريدين لنفع الرعية والإحسان ورحمتهم إلا بمحرك يحركهم من الخارج ، فهم محتاجون من أجل ذلك إلى وسائل وشفعاء ونصحاء ينصحون ويشفعون للمظلومين والمحتاجين من الرعية ليقوموا بقضاء حوائج هؤلاء بالترغيب والنصيحة والشفاعة بخلاف رب العالمين الرؤوف الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء ، فمن ظن أن الله مثل هؤلاء الوسطاء فقد كفر .

وكذلك فإن ملوك الدنيا مضطرون إلى قبول وساطة أمرائهم ، ووزرائهم ووجهاء ممالكهم لحاجتهم إليهم في حفظ البلاد وسياسة العباد ، وكثيراً ما يقبل الملوك شفاعة الوسطاء بإذن وبدون إذن ، لمن يرضون عنه ، ولئن يسخطون عليه بخلاف مالك الملك الغني عما سواه الحي القيوم الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، فأنى لأحد أن يشفع عنده إلا بإذنه لكمال ملكه وعظمته وغناه^(١٧).

• الوجه الرابع : أن أولئك الذين يدعون ولو ثبتت ولايتهم فإنه يحرم طلب الشفاعة منهم بعد موتهم لأن الميت انقطع عمله ودخل حياة البرزخ ، وهي

(١٦) ينظر زيارة القبور والاستنجد بالمقبور لابن تيمية ، الإدارة العامة للطبع والترجمة ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠ هـ . ص(٢٠١٨).

(١٧) ينظر الواسطة بين الله وخلقه عند أهل السنة ومخالفهم للدكتور مرابط الشنقيطي ، ص (٥٣٣) .

حياة غيبية تختلف أحكامها وأحوالها عن أحكام وأحوال الحياة الدنيا ، ففي حياة الأولياء في الدنيا يجوز طلب الشفاعاة منهم في حضورهم بأن يدعوا لك بالخير لأن الشفاعاة هي طلب الخير للغير ، ولما كان عكاشة ابن محصن رضي الله عنه في مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم وسمعه يخبر عن سبعين ألفاً من أمته يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب . قَامَ عَكَاشَةُ رضي الله عنه فَقَالَ : « ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَني مِنْهُمْ » . قَالَ : « اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ » ^(١٨) ، أما بعد موته فلم يسألوه الشفاعاة مع وجود المقتضي ^(١٩) ، يشهد لهذا : (أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه . فقال : " اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فنتسقين وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا " قال فيستقون) ^(٢٠) .

- الوجه الخامس : أن الشفاعاة ملك لله ، فمن أراد شفاعاة أحد من الأموات الأولياء سواء كانوا أنبياء أو صديقين أو شهداء أو صالحين فليسألها من الله مباشرة لأنها ملك لله ، كما قال تعالى : ﴿ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ أَنْوَابُ الْأَيْدِي أَلِيهَا أَسْمَاءٌ لَمْ يَمْلِكُنَّ شَيْئاً وَلَا يَعْقِلُونَ ، قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [الزمر/٤٣:٤٤] . فيقول سائل الشفاعاة : اللهم شفّع فيّ أنبياءك . أو اللهم ارزقني شفاعاة رسولك محمد صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك ، فهذا إيمان وتوحيد ، وهذه هي الشفاعاة المثبتة وهي لا تكون إلا بشرطين :

^(١٨) صحيح البخاري ، حديث رقم (٥٣٧٨) .

^(١٩) ينظر الرد على البكري ، ابن تيمية ، مكتبة الغرباء ، المدينة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ ، (١ / ٢٦٠)

^(٢٠) صحيح البخاري حديث رقم (٩٦٤) .

الأول : إذن الله للشافع أن يشفع كما في قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة/ ٢٥٥] .

الثاني: رضا الله عن المشفوع له ^(٢١) كما في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء/ ٢٨] . وجمع بين الشرطين في قوله: وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ﴿ [النجم/ ٢٦] . والله لا يرضى عن المشفوع له إلا إذا كان من أهل التوحيد المحققين لشروط كلمة لا إله إلا الله ^(٢٢) ، يدل لهذا قول الرسول ﷺ: (أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قبل نفسه) ^(٢٣) .

ويحرم على العبد أن يسأل الميت الشفاعاة ، كأن يقول بعد موت الرسول ﷺ : يا رسول الله اشفع لي عند الله ، أو يا رسول الله ادع لي بدخول الجنة ، ونحوها ، فهذا شرك وتنديد ، وهذه هي الشفاعاة المنفية التي لا يرضى الله عن سائلها ولا يتجاسر أحد أن يشفع لهذا السائل يوم القيامة لأنه أشرك بالله العظيم حيث دعا ميتاً لا يسمع من دعاه ولو فرض جدلاً أنه يسمع فإنه لا يستجيب له ،

(٢١) ينظر جامع البيان ، الطبري ، (٣٩٥ / ٥) ، (٣٠٠٠٢٩٩ / ٢١) ، (٥٢٩ / ٢٢) .

(٢٢) ينظر مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ، (٤١٠ / ١٤) ، والرد على البكري ، ابن تيمية ، (٢٩٦ / ١) .

(٢٣) صحيح البخاري ، حديث رقم (٦٢٠١) .

قال الله تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَوْمٍ فِي جُزْءٍ مُّسَمًّى ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ، إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر/١٣. ١٤] والخبير هنا هو الله ، وتأمل قوله في أول الآية :

﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ﴾ ثم تأمل قوله في آخرها : ﴿بِشِرْكِكُمْ﴾ فسمى دعاء غيره من الأموات شركاً . وإنما الجائز هو دعاء الحي الحاضر القادر دون دعاء الميت أو الغائب أو العاجز ، يدل لهذا قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ [القصص:١٥] فاستغاث الإسرائيلي موسى على القبطي وموسى عليه السلام حي وحاضر وقادر على إغاثته يدل لهذا قوله تعالى بعد ذلك ﴿فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ [القصص/١٥]^(٢٤).

● الوجه السادس : أن كفار قريش كانوا يقولون أن الله هو الخالق الرزاق المدبر وليس للأولياء شيء من ذلك ، كما قال تعالى: ﴿وَلَنْ سَأَلَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فإني يُؤفكون﴾ [الزخرف/٨٧] .

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يُرِزُّكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس/٣١] .

(٢٤) ينظر جامع البيان، الطبري، (١٩/٥٣٨)، (٢٠/٤٥٣)، ومجموع الفتاوى، ابن تيمية، (١/١٠٣. ١٠٤)، وكشف الشبهات،

محمد بن عبد الوهاب، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ص (٢٨. ٢٩) .

وما كانوا يريدون من الأولياء الذين يدعونهم مع الله إلا الشفاعة: ﴿اللَّهُ الَّذِينَ خَالَصُوا وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر/٣] وتأمل كيف حكم الله عليهم بالكفر في آخر الآية مع أنهم ما أرادوا إلا الشفاعة . وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَّبِعُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس/١٨] وتأمل قوله في آخر الآية: ﴿يُشْرِكُونَ﴾ مع أنهم لم يريدوا ممن يدعونهم إلا الشفاعة^(٢٥) .

• الوجه السابع : أن الميت هو الذي ينتفع بدعاء الحي ، ولا يمكن للميت أن يدعو للحي لأن عمل ابن آدم ينقطع بموته ، والدليل ما حدث به الصادق المصدوق عليه السلام : (إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ انْقَطَعَ عَمَلُهُ)^(٢٦) . وعن أبي هريرة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال : (إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ)^(٢٧) . فالمت ينتفع بدعاء الصالحين الأحياء له ، ولا يملك الأموات الصالحون الدعاء لأنفسهم فكيف يدعون لغيرهم .

فانظر كيف عكس القبوريون الأمر ، فجعلوا الباطل حقاً ، والحق باطلاً !

• الوجه الثامن : أن أفضل الخلق هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن أفضل الناس بعد الأنبياء . عليهم السلام . هم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن أفضل الصحابة

(٢٥) ينظر جامع البيان ، الطبري ، (٤٧:٤٦/١٥) ، (٨٤:٨٣ /١٥) ، (٢٥٢:٢٥١/٢١) ، (٦٥٥/٢١) ، ومعالم التنزيل البغوي دار طيبة، الطبعة الرابعة ، ١٤١٧هـ ، (١٠٨/٧) .

(٢٦) صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب كراهة تمني الموت لضر نزل به (٢٠٦٥/٤) ، برقم ٢٦٨٢ .

(٢٧) صحيح مسلم ، حديث رقم (١٦٣١) .

هم الخلفاء الراشدون أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، ولم يثبت أن أحداً من الصحابة رضي الله عنهم وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الشفاعة بعد موته. فإذا كان أفضل الناس بعد الأنبياء لم يسألوا أفضل الخلق الشفاعة بعد موته فغيره من باب أولى.

• الوجه التاسع: أن طالب الشفاعة من الأموات قد اتخذهم آلهة مع الله .

والدليل قول الله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلِ اتَّبِعُوا اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس/١١٨].

فإن قال قبوري: إن الله قال: ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ ونحن لا نعبدهم .

يقال له: أنت تدعوهم وتسالهم الشفاعة بعد موتهم، ودعاؤك هذا عبادة لهم يشهد لهذا ما رواه النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ» ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر/٦٠].

فإن قال: إن كلمة: ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ في الآية الأولى تدل على أنهم لا يدعون إلا الأولياء، أما نحن فنَدْعُو اللَّهَ وَنَدْعُو مَعَهُ الْأَوْلِيَاءَ .

فيقال له: إن كلمة ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ معناها: مع الله ^(٢٨) وقد قال الله تعالى في آخر آية من سورة المؤمنون: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون/١١٧]. فقال: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ وهذا هو الشرك

(٢٨) ينظر تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار طيبة، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ، (٤/٣٥٦).

دعوة غير الله مع الله^(٢٩). وتأمل كيف سماه في آخر الآية كافراً وحكم عليه بالخسران .

فإن قال : إن الله قال : ﴿إِلَهًا﴾ ونحن لا نقول إن الأولياء آلهة .

يقال له : وما معنى الإله ؟

فإن لم يعرف . يقال له : لم تحاج فيما ليس لك به علم ؟!

وإن قال : الإله هو الخالق الرزاق المدبر .

يقال له : إن كفار قريش كانوا يقولون بأن الله هو الخالق الرزاق المدبر ولكنهم

لم يقولوا لا إله إلا الله ، لأنهم علموا . وهم العرب الأقحاح . أن الإله هو المعبود

المقصود بالدعاء^(٣٠) ، فإذا قالوا لا إله إلا الله نضوا هذا الحق عن آلهتهم وتركوا

دعاءها مع الله ، وهذا الذي لا يريدون ، وهو محل النزاع ، ويدل لهذا قول الله

فيهم : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٣٥) وَيَقُولُونَ إِنَّا لَا نُرْكِعُكَ اللَّهُ لَشَاعِرٍ

مَجْنُونٍ ﴿ [الصافات/ ٣٥، ٣٦] .

والنتيجة أن طالب الشفاعة من الأموات قد اتخذهم آلهة مع الله .

(٢٩) ينظر الأصول الثلاثة وأدلتها ، محمد بن عبد الوهاب ، مكتبة العلم ، جدة ، ص (٨) .

(٣٠) ينظر مختار الصحاح ، الرازي ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٤١٥هـ ، ص (٢٠) .

الخاتمة

يمكن إجمال أهم نتائج البحث في النقاط الآتية :

- أن القبورية هم الغلاة في تعظيم القبور ودعاء أربابها من دون الله .
- أن من أكبر شبهات القبورية : أنهم قصدوا بعض الموتى من أصحاب القبور بحجة أنهم أولياء الله ولهم منزلة رفيعة عند الله فتوجهوا إليهم بطلب الشفاعة لهم عند الله قياساً على تقرب الناس عند ملوك الدنيا بشفاعة الوجهاء .
- أن قياس ملوك الدنيا على مالك الملك في اتخاذ الشفعاء قياس باطل بل هو أفسد قياس على الإطلاق، فشتان بين الخلاق العليم بأحوال عباده الغني عن كل أحد وبين ملوك الدنيا الفقراء الجهلاء بأحوال الرعية المحتاجين إلى الشفعاء من الوجهاء الذين يعينونهم على شئون الملك ويوصلون إليهم حاجات الرعية .
- أن هذا القياس فيه تمثيل الخالق الكامل من كل وجه بالمخلوق الناقص من كل الوجوه ، وهذا كفر بالله العظيم .
- أنه يجب التوقف عن وصف شخص معين بالولاية إلا بنص شرعي لأن أولياء الله هم أهل الإيمان والتقوى ، والله أعلم بمن حقق الإيمان والتقوى .
- أن التوسع في إطلاق لفظ الولاية أدى إلى الغلو الذي أثمر التعلق بالموصفين بالولاية حتى سئلوا الشفاعة بعد موتهم .
- أنه يحرم سؤال الشفاعة من الأموات ولو بلغوا أعلى درجات الولاية كالأنبياء عليهم الصلاة والسلام .
- أن الشفاعة بالاستقصاء ثمانية أنواع أثبتها أهل السنة على ما جاءت به النصوص الشرعية .

- أن الناس في الشفاعة أقسام ثلاثة : طرفان ووسط ، غلا فيها المشركون الأوائل والنصارى وخلفهم فيها القبوريون ، وجفا فيها المعتزلة والخوارج وتمسك أهل السنة بما جاء في النصوص فيها فكانوا وسطاً .
- أن الشفاعة ملك لله فتطلب منه ولا تكون إلا بإذنه للشافع أن يشفع ورضاه عن المشفوع له ، ولا يرضى إلا عن أهل التوحيد ، ولا بأس في طلب الشفاعة من صالح حي حاضر قادر .
- أن الاعتقاد بأن الله هو الخالق الرزاق المدبر لم يدخل كفار قريش في الإسلام لأنهم أشركوا مع الله غيره في الدعاء .
- مشروعية مجادلة أهل الباطل بالتي هي أحسن .
- تحرير محل النزاع عند المجادلة ليقع الجواب في محله .
- عناية علماء السنة بإخلاص الدين لله ونفيهم عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين .
- أن الحق ظاهر على الباطل ولو كره المشركون .
- والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، لقد جاءت رسلنا بالحق وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على عبده ورسوله وخليله محمد الصادق الأمين وعلى آله وصحبه العالمين المخلصين وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

المصادر

- ١ . القرآن الكريم .
- ٢ . إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار ، المعجم الوسيط ، دار الدعوة، تحقيق مجمع اللغة العربية .
- ٣ . ابن كثير ، إسماعيل بن عمر ، ١٤٢٠هـ ، تفسير القرآن العظيم ، دار طيبة .
- ٤ . البخاري ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ، ١٤٠٧هـ ، الجامع الصحيح ، دار ابن كثير، بيروت .
- ٥ . البغوي ، الحسين بن مسعود ، ١٤١٧هـ ، معالم التنزيل ، دار طيبة
- ٦ . التّجاني ، محمد السيد ، أحزاب وأوراد القطب الرباني العارف الصمداني سيدنا ومولانا أحمد التّجاني، مكتبة القاهرة .
- ٧ . التّجاني ، محمد السيد التّجاني ، الهداية الربانية في فقه الطريقة التّجانية ، مكتبة القاهرة .
- ٨ . التميمي ، محمد بن عبد الوهاب ، كشف الشبهات ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة .
- ٩ . التميمي ، محمد بن عبد الوهاب ، الأصول الثلاثة وأدلتها ، مكتبة العلم جدة .
- ١٠ . حجاب ، أحمد محمد ، آراء في حياة السيد البدوي الدنيوية وحياته البرزخية.
- ١١ . الحراني ، أحمد بن عبد الحلّيم بن تيمية ، مجموع الفتاوى ، جمع عبد الرحمن بن قاسم النجدي .
- ١٢ . الحراني ، أحمد بن عبد الحلّيم بن تيمية ، ١٤١٧هـ ، الرد على البكري ، ابن تيمية ، مكتبة الغرباء ، المدينة .
- ١٣ . الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ، ١٤١٥هـ (١٩٩٥م) مختار الصحاح ، مكتبة لبنان ، بيروت .

١٤. الشنقيطي ، ابن بابا ، منية المرید في آداب وأوراد الطريقة التجانية ، مكتبة القاهرة .
١٥. الشنقيطي ، د. مرابط ، الواسطة بين الله وخلقه عند أهل السنة ومخالفهم ، الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية .
١٦. الشوكاني ، محمد بن علي ، ١٩٧٣م ، نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار ، دار الجيل ، بيروت .
١٧. الشيباني ، أحمد بن حنبل ، مؤسسة قرطبة ، القاهرة .
١٨. شيخ الطريقة التجانية بواد مدني ، بلوغ الأمان في مناقب سيدي أحمد التجاني ، مكتبة مضوي .
١٩. الطبري ، محمد بن جرير ، جامع البيان ، ١٤٠٥ هـ ، دار الفكر ، بيروت .
٢٠. عاشور ، سعيد عبدالفتاح ، السيد أحمد البدوي شيخ وطريقة .
٢١. علي حرازم ، جواهر المعاني .
٢٢. الفراهيدي ، الخليل بن أحمد ، العين ، دار ومكتبة الهلال .
٢٣. الفوزان ، صالح بن فوزان ، ١٤١٣هـ (١٩٩٣م) ، شرح العقيدة الواسطية ، مكتبة المعارف ، الرياض .
٢٤. القاضي سعد ، ٢٠٠١م ، العارف بالله سيدي أحمد البدوي ، دار غريب ، القاهرة .
٢٥. القزويني ابن فارس ، أحمد بن فارس بن زكرياء ، معجم مقاييس اللغة ، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م ، دار الجيل ، بيروت .
٢٦. الكحلاني ، محمد بن إسماعيل ، تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد .
٢٧. المالكي ، محمد علوي ، دروع الحماية بأحزاب الوقاية ، دار جوامع الكلم مصر ، القاهرة .
٢٨. المعلم ، أحمد بن حسن ، ١٤٢٧هـ ، القبورية نشأتها . آثارها . موقف العلماء منها " اليمن نموذجاً " ، دار ابن الجوزي .

٢٩. المهدي ، جودة محمد أبو اليزيد ، حقيقة القطب النبوي السيد أحمد البدوي، دار جوامع الكلم، القاهرة .
٣٠. النيسابوري، مسلم بن الحجاج بن مسلم ، صحيح مسلم ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت.